المحدِّدات الشرعية والمنطقية لصناعة الخطيب الحسيني(القسم الأوّل)

الشيخ صباح عبّاس الساعدي ـ رئيس تحرير مجلّة الإصلاح الحسيني

المقدمة

بما أنّ الخطابة بمفهومها العام ـ المتوفّرة على عنصري الاستمالة والإقناع[1] ـ تُعتبر أداةً إعلامية مهمّة في نشر وترويج الفكر الذي يتبنّاه أصحاب المشاريع المهمّة، على اختلاف متبنّياتهم وتوجّهاتهم ورؤاهم؛ فلذا نجد أنّ كلّ مَن أخذ على نفسه مهمّة العمل على إيصال رسالته ومشروعه إلى أكبر شريحةٍ من المجتمع ـ وفي نطاق المساحات الممكنة ـ من الطبيعي أن يسعى لتأمين عددٍ كافٍ من فئة الخطباء المؤثّرين في الأوساط العامّة من الناس، ويُعتبر الفعل الذي يقوم به هؤلاء أثراً من الآثار الطبيعية الناتجة عن بحثهم عن آليات مناسبة لنشر فكره وترويج مشروعه[2]، بل ذكر بعض الباحثين أنّ الحاجة إلى الخطابة مرافقةٌ ليوميات بني البشر في الأعمّ الأغلب؛ فقد **(...عرف الناس الخطابة منذ أن اجتمعوا في مكانٍ واحدٍ واستوطنوه؛ لأنّ الطبيعة تقتضي اختلاف الناس متى اجتمعوا، سواء كان هذا الاختلاف في رأي أو في عقيدة، أو كان الاختلاف بسبب تنافسٍ على غنيمة أو متاع أو سلطة، فيحاول المتفوّق أن يستميل إليه مَن يخالفونه وأن يُقنعهم، فإذا ما أقنعهم واستمالهم فهو خطيب، وقوله خطبة، ثمّ إنّه من الطبيعي أن تنشب أُمورٌ تستدعي تعاون المجتمع، وتضافر قواه على اجتلاب نفعٍ عامٍّ مشترك، أو اتّقاء ضرر عام، فيتصدّر بعض النابهين من هذا المجتمع لقيادة الجماعة وزعامتها، وعُدَّتهم في ذلك الخطابة، على أنّ الناس في حياتهم القديمة تسلّحوا بأسلحةٍ مادّية للدفاع والعدوان، وتسلّحوا أيضاً بسلاحٍ معنويّ هو اللسان...)**[3] .

وعلى هذا الأساس؛ يجد الباحث تفسيراً واضحاً لاهتمام مختلف الباحثين والمفكّرين بفنّ الخطابة بما تحمل من مفهوم واسع، وسعيهم لوضع قوانين ومحدِّدات[4] يسير الخطيب في ضوئها، فقد وُجدت مجاميع كبيرة من الكتب والمؤلّفات التي تُعنى بفنّ الخطابة، سواء أكان كتَّابها ومؤلّفوها من الماديين واللادينيين[5]، أم الإلهيين المعتقدين بالديانات والمؤمنين بها، من الديانات السماوية وغيرها[6].

ومن المفترض أن تكون الأُسس الخطابية الواردة في المدوّنات العامّة أو المختصّة بهذا الفنّ صالحة لرسم صورة متكاملة في ذهن القارئ؛ لتكوِّن أمامه خارطةً واضحة المعالم حول ما يتحتَّم على الخطيب اتّباعه في سبيل بلوغ المرتبة المثلى في هذا الشأن؛ ليسهل لمن يريد أن يسلك هذا الطريق معرفة الواجبات والالتزامات التي تلزم مراعاتها في هذا الفن.

كما نودّ التنويه إلى أنّ الآيات القرآنية والنصوص الروائية ـ سواء أكانت عبارة عن بيانات وأقوال عن المعصومين(عليهم السلام)[7]، أم سيرتهم العملية[8]، أم المستكشفة من سكوتهم(عليهم السلام) عن نمط معيّن من الأفعال التي قام بها بعض الخطباء، أو الشعراء والمنشدين والراثين بمحضرهم، أو في زمان حضورهم(عليهم السلام)[9] ـ قد أسهمت في إثراء هذا الفنّ، ورسم معالمه، بالشكل الذي لا يدع ـ لمن وقف على تفاصيلها ـ تردداً في قصدية هذه النصوص، وتأكيدها على أهمّيته؛ الأمر الذي ينمُّ عن اهتمام بالغ بهذه الشريحة (أعني: شريحة الخطباء)، والاعتناء بهم بدرجة فائقة؛ لما لهم من تأثيرات بارزة في المجتمعات، تنعكس إيجاباً أو سلباً ـ بحسب القابليات والدوافع والأهداف التي يحملها الخطيب ـ على واقع تلك المجتمعات.

وفي سياق بحثنا وتتبّعنا لمصادر هذا الفنّ، وجدنا مؤلّفات واسعة وكتباً كثيرة عُنيت بوضع الأُسس والضوابط العامّة لفنّ الخطابة، تناول الباحثون من خلالها الأبعاد المختلفة لهذا العلم الواسع؛ بدايةً من تعريفه وأقسامه، ومروراً بشروطه وضوابطه المهمّة ـ التي تنعكس مراعاتها وعدم ذلك على أداء الخطيب، الذي يقف وجهاً لوجه أمام جمهوره الواسع ومريديه ـ ونهايةً بالنماذج التطبيقية التي تمّ اختيارها من قِبل خبراء في هذا المجال؛ لكي يستفيد منها المبتدئون أو مَن يرى نفسه في بدايات طريقه إلى هذا المجال.

والنقطة الأُخرى التي يجدها الباحث هو الحيّز الذي يشغله هذا الفنّ في فكر بعض عباقرة العلم وروَّاده، وإن اختلفت اتّجاهاتهم، وتباينت رؤاهم ودوافعهم من وراء ذلك، الأمر الذي دفع ببعضهم إلى إنشاء معاهد ومراكز تُعنى بتعليم الناشئة وتأهيلهم؛ لكي يصبحوا متحدّثين مشهورين في العالم؛ بغية تحقّق الأهداف المنشودة من إعداد الخطباء الممنهجين بمنهج مطابق لما ترتسمه معاهدهم التي تخرّجوا منها، وحينما يحكي القائمون على هذه المعاهد قصص الشخصيات المهمّة التي انضمّوا إلى هذا المعهد أو ذاك، يقف القارئ مندهشاً للمواقف التي مرَّ بها كبار القادة، وأفذاذ العلوم، ومبتكرو النظريات، ولامعو الخطابة ـ الذين عُرفوا فيما بعد في الأوساط الخطابية ـ حينما وقفوا متحيّرين أمام الجمهور، وظهر

عجزهم عن إيصال رسالتهم، أو توضيح فكرةٍ خامرت أذهانهم لفترات طويلة[10].

وفي قبال هذا الاهتمام البالغ هناك مَن يرى عدم ضرورة التدوين أو العمل على وضع أُسس وقوانين للخطابة؛ اعتقاداً منه بأنّ: **(أُمور الخطابة ليست بتلك الدرجة من الصعوبة والتعقيد حتّى يحتاج الناس إلى معرفة ملابساتها؛ فإنّ أركانها الأساسية تتكوّن من عنصرين: أحدهما غير قابل للاكتساب، بل هو فطري من المكوّنات الذاتية، والثاني ممّا يكتسبه الإنسان من علم ومهارة واقتدار، وكلّها في تصوّري واضحة...)**[11].

إلّا أنّ هذا الرأي يصطدم بمخالفة الغالبية العظمى من الخطباء، سواء السابقون له، أو الذين عاصروه، كما لا يتماشى مع منهجه الإصلاحي الذي تحدّث عنه، وعن طموحاته وهواجسه بشكلٍ تفصيلي في كتابه الموسوم بـ(تجاربي مع المنبر)[12] .

الموضوع: بعد أن طالعنا النصوص الشرعية والكتب التي أُلّفت في فنّ الخطابة، وجدنا أنّ هناك فوارق جوهرية بين المنهجين، على بعض الآراء التي ذُكرت في الكتب المنطقية، إلّا أنّها تشترك في وضع بعض الأُسس والركائز التي تُعتبر محدِّدات مهمّة، يُسهم مراعاتها في صناعة خطيب مرموق له الأهلية والقدرة على التأثير في جمهوره، أيّاً كانت مادّة خطابه، ومهما كان المشروع الذي يراد الترويج له؛ سواء كانت مادّة الخطبة وموضوعها دينياً أو دنيوياً، سياسياً أو علمياً أو تجارياً، أو غير ذلك من المجالات الأُخرى.

فجاءت فكرة البحث لنقف من خلالها على الخطوط العامّة والمحدِّدات الشرعية للخطابة من منظار الشارع المقدّس، وما هو فرقها عن المحدِّدات المنطقية حول مقوّمات هذا الفنّ؟ ومعرفة الخطّة التي يؤمن بها كلّ منهج من هذين المنهجين، لترسيم لوحة متكاملة للقارئ الكريم، وما مدى تأثير ذلك وانعكاسه على الدارس والمتدرّب في المعاهد العائدة إلى هذا المنهج أو ذاك، مع وضوح أنّ هناك مساحات مشتركة بينهما.

وفي ضوء ذلك، فإنّ بحثنا يتناول المباحث التالية:

المبحث الأوّل: المحدِّدات الشرعية لصناعة الخطيب الحسيني.

المبحث الثاني: المحدِّدات المنطقية لصناعة الخطيب الحسيني.

المبحث الثالث: المقارنة بين المنهجين.

وسنتناول في هذا القسم من بحثنا النصوص الشرعية التي ذكرت المحدِّدات والضوابط الأساسية للخطيب الحسيني الذي اختار لنفسه هذه المهمّة الخطيرة، مع محاولةٍ لتطبيق ذلك على المنبر الحسيني الذي تصدّى الإمام زين العابدين(عليه السلام) للقيام بدوره التبليغي في الكوفة والشام؛ لنتوصّل بعد ذلك إلى أنّه(عليه السلام) لو قُدِّر له أن يكون حاضراً بيننا في هذا الزمن ـ الذي تسارعت فيه الأُمور إلى التطوّر في كافّة المجالات ـ فما هي الشروط والمحدِّدات التي يفرضها علينا لكي يعتبر الدور الذي نقوم به في خطاباتنا منتجاً ومفيداً للجمهور والمجتمع.

المبحث الأوّل: المحدِّدات الشرعية لصناعة الخطيب الحسيني

تمتدّ جذور النصوص الدينية التي خُصّصت لبناء الخطيب الحسيني في الإسلام ـ مع غضّ النظر عن الديانات السابقة ـ إلى بدايات البعثة النبوية المباركة؛ إذ اهتمّ النبيّ الأكرم(صلى الله عليه واله) ببناء شخصية الخطيب بعنوانه العام والشامل للخطيب الحسيني بشكلٍ تلقائي، والذي أصبح منطبقاً عليه تمام الانطباق في عصرنا الراهن؛ لما نراه من شمولية ومركزية للمنبر الحسيني في بثّ المُثل الإنسانية، والخوض في المسائل الدينية بكافّة مجالاتها وأبعادها المتشعّبة.

وبطبيعة الحال، فقد كتب في ذلك بعض الباحثين الإسلاميين، وجمعوا جملةً من النصوص التي اعتقدوا أنّها ناظرة إلى هذا الفنّ ، وإن فاتت بعضهم مجموعة من البيانات التي تُعتبر من صميم الأدلّة الخاصّة حول ذلك، وهو ما سنسلّط الضوء عليه في النقاط الآتية إن شاء الله تعالى، بالإضافة إلى النصوص العامّة التي تساعدنا في البرهنة على ما نريد إثباته.

وكيف كان، فمن تلك المحدِّدات التي تمّ رصدها ضمن النصوص الشرعية ما سندرجه تحت العناوين التالية:

أوّلاً: بناء الذات للخطيب الحسيني

بما أنّ الخطيب يؤدّي دوراً أساسياً في نجاح المشروع التبليغي الذي يراهن في ضوئه على ضمان هداية الناس بنسبةٍ كبيرة؛ لذا عُنيت النصوص الدينية ببناء شخصية الخطيب عن طريق إعطاء محدِّدات تُسهم في ترسيم صورة واضحة عن الخطيب القدوة، الذي ينهض بأعباء هذه المهمّة، ومن تلك المحدِّدات:

١ـ المحدِّدات العلمية

من أهمّ البيانات القرآنية حول موضوعة علمية الخطيب ودرايته بما يريد طرحه وتناوله في خطابه هو قوله تعالى: (قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَاْ وَمَنِ اتَّبَعَنِي...)[13]، فمن سياق الآية الكريمة التي تبيّن منهجية النبي(صلى الله عليه واله) في الدعوة إلى الله تعالى، والتي تعتمد في الأعمّ الأغلب على الخطاب والخطابة، نعرف أنّ الكفاءة العلمية في الخطيب من الأُسس الرئيسة في نجاحه في هذه المهمّة[14]؛ وذلك من خلال قوله تعالى: (عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَاْ وَمَنِ اتَّبَعَنِي)، التي تعني: (**... المعرفة التي يُميّز بها بين الحقّ والباطل في الدين والدنيا، يُقال: فلان على بصيرةٍ من أمره، أي: كأنّه يبصره بعينه...**)[15] وتتأكّد ضرورة المؤهّلات العلمية في الخطيب الرسالي فيما لو أخذنا بنظر الاعتبار قوله تعالى: (قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَاْ وَمَنِ اتَّبَعَنِي)، التي تعني: أنّ النبيّ(صلى الله عليه واله) وكلّ مَن أراد أن يتّخذ منه قدوةً ويتّبعه في هذا المشروع الرسالي، عليه أن يكون على بصيرة ودراية.

وكذلك قوله تعالى: (ادْعُ إِلِى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ...)[16]، فإنّ المراد من الحكمة: (**المقالة المحكمة الصحيحة، وهي الدليل الموضّح للحقّ**)[17]، فهذه الآية وإن كان المخاطب بها هو النبيّ(صلى الله عليه واله)، إلّا أنّ المتسالم عليه بين علماء التفسير هو شمولها لسائر المكلّفين ـ إمّا بعمومها أو من قبيل: إيّاك أعني واسمعي يا جارة[18] ـ إلّا ما ثبت بالدليل الخاصّ أنّه من التكاليف الخاصّة بشخصه(صلى الله عليه واله) .فإذا كان على الخطيب أن يقتدي بالنبيّ الأكرم(صلى الله عليه واله) ومنهجه في التبليغ ـ الذي أساسه وركنه الخطابة التي كان يمارسها في دعوته ـ فلا بدّ أن يكون على درجةٍ من العلم، بحيث تمكّنه من توجيه بوصلة الحديث، ووضع الأُمور في مواضعها المناسبة، إلى درجةٍ بحيث يصلح أن يكون قريباً من الوصف الذي ذكره أمير المؤمنين(عليه السلام) في حقّ (صلى الله عليه واله) بقوله: (**طبيبٌ دوّارٌ بطبّه، قد أحكم مراهمه، وأحمى مواسمه، يضع ذلك حيث الحاجة إليه، من قلوب عمي، وآذان صمّ، وألسنة بُكم، متّبع بدوائه مواضع الغفلة، ومواطن الحيرة...**)[19].

فيما وُجدت بعض النصوص المحذّرة من التصدّي للكلام في المجالات التي ليس للخطيب إلمامٌ بها، كما في قول أمير المؤمنين(عليه السلام): (**لا تقل ما لا تعلم، بل لا تقل كلّ ما تعلم؛ فإنّ الله فرض على جوارحك فرائض يحتجّ بها عليك يوم القيامة**)[20]، فقد استُفيد من هذا النصّ ونظائره في بعض المصنّفات التي كُتبت حول فنّ الخطابة والتبليغ، فقام بعض الباحثين بتطبيق هذه النصوص على الخطيب المنبري[21]، وقد كانت استفادته من هذا النصّ وأمثاله للتحذير من الجهة السلبية المنظور إليها في كلام الإمام(عليه السلام)، أو ما يُصطلح عليه بعقد

السلب، وهي القول بغير علم، والذي نهى الله (عز وجل) عنه في كتابه[22]، وهذا الأمر ممّا لا شكّ في انطباقه، فلا نختلف معه في ذلك.

وأمّا إذا نظرنا إلى هذا النصّ من زاويته الإيجابية ـ أو ما يُسمى بعقد الإيجاب ـ فسوف ينتج لنا بُعداً أكثر عمقاً، وهو الدرجة العلمية التي يراد أن يتوافر عليها الخطيب الذي يتصدّى لهذه المهمّة الخطيرة، فلا يكتفي بأن يكون ما يقوله لجمهوره مساوياً لما يعرفه من علوم، بل لا بدّ أن يكون علمه أكثر ممّا يقوله؛ وهذا الأمر نستفيده من قوله(عليه السلام): **(بل لا تقل كلّ ما تعلم)**، الذي يفترض فيه الإمام(عليه السلام) أن يكون المتحدّث بمرتبةٍ من العلم، بحيث لو أراد أن يتناول مسألةً من المسائل في خطابه فلا بدّ أن يكون ملمّاً ومستوعباً لأطرافها، وأن يكون أوسع علماً وإحاطةً بذلك، لدرجةٍ تمكّنه من إبقاء بعض العلوم والمعارف التي تلقّاها طيَّ الكتمان على جمهوره؛ لمصلحةٍ يراها ويحدّدها بواسطة خبرته وتجربته التي اكتسبها، واطّلاعه على الخطوط العامّة في هداية الناس. وكذلك قوله(عليه السلام): **(ينبغي أن يكون عِلم الرجل زائداً على نُطقه، وعقله غالباً على لسانه)**[23]، وغيرها من النصوص التي لا يتماشى نقلها مع الاختصار المطلوب في أمثال هذه البحوث.

توفُّر المحدِّدة العلمية في منبر الإمام زين العابدين(عليه السلام) وأهل بيته

من النماذج التطبيقية للمنبر والخطابة المستندة إلى الدليل الواضح والحجّة القاطعة، هو ما قام به الإمام زين العابدين(عليه السلام) وأهل بيت الحسين(عليه السلام) في رحلة الأسر التي أعقبت واقعة الطف، فقد أُثر عنهم(عليهم السلام) بعض الخطابات التي تُعتبر من أهمّ الأدلّة الأساسية لمشروعية الخطابة الحسينية، موظّفين أدواتهم الإقناعية، والنصوص المسلَّمة لإيصال رسالتهم التي نهضوا من أجلها؛ إذ لم يتحدّثوا في الكوفة بحديث يبرّر لأهلها إنكاره أو ردّه على الإمام زين العابدين(عليه السلام) أو أهل بيته، بل استدلّوا على فداحة الخَطْب وهول المصاب الذي تسبّب به الحاضرون آنذاك بحقائق غير قابلة للإنكار أو التشكيك، بل يشهد بها جلّهم؛ حتّى أخذ بعضهم يقول لبعض: **(هلكتم وما تعلمون)**[24].

ويزداد القارئ قناعةً حينما يقوم بقراءة متأنّية في الخُطب التي أُلقيت في الشام، حيث محاورته(عليه السلام) مع الشامي الذي أراد أن ينال من الإمام لعدم معرفته به، فأجابه(عليه السلام) بخطاب مستند إلى الآيات القرآنية الواضحة[25]، أو تلك الخُطب التي أُلقيت من قبلهم(عليهم السلام) في قصر يزيد بن معاوية، إذ كان الموقف يحتّم على الإمام زين العابدين(عليه السلام) وأهل بيته أن يأتوا بكلامٍ

علميّ استدلالي، معتمدين في ذلك على النصوص القرآنية التي لا تقبل الرفض أو التشكيك في صدورها ولا في دلالتها[26].

والمتتبّع للوقائع التي حدثت في التاريخ يجد أنّ الطواغيت والجبابرة لا يخافون ولا يعبؤون إلّا بالمنبر الواعي والخطاب الهادف، الذي يكون رائده متسلّحاً بسلاح العلم والمعرفة الكافية؛ ولذلك يظفر الباحث ببعض العبارات التي يُجيب بها الحكّام والملوك، حينما يواجهون إلحاحاً جماهيرياً بفسح المجال لشخصيةٍ من شخصيات أهل البيت(عليهم السلام) لارتقاء المنبر والتحدّث إلى الناس، والتي يوحّدها قول يزيد: **(إنّه من أهل بيتٍ قد زُقّوا العلم زقاً)**[27]، وكذلك سعيهم لحرف مسار الحديث حينما يجدون أنفسهم في مأزق وإحراج بسبب خطابات الأئمة في محضرهم[28]؛ ما يحتّم على الخطيب الحسيني أن يجعل من منبره مثالاً واضحاً للخطابات الحسينية الهادفة التي تُرعب الحكّام والجبابرة.

٢ـ المحدِّدات العملية في الخطيب الحسيني

هناك بيانات صريحة ووافرة تضمّنتها الآيات القرآنية والروايات الشريفة، تؤكّد على ضرورة الجانب العملي في شخصية الخطيب، والتلازم الواضح بينها وبين نجاحه في هذه المهمّة، وقد تمثّلت هذه المحدِّدات العملية والأخلاقية بذكر حالات مختلفة من السلوك الذي يمكن أن يمارسه الخطيب، ولكلّ حالةٍ منها درجةٌ من التأثير في الجمهور إيجاباً أو سلباً:

الحالة الأُولى: أن يتطابق قول الخطيب والمبلّغ مع فعله، وهذه هي المرتبة المُثلى للخطيب والمبلِّغ الناجح والمؤثّر في مجتمعه تأثيراً إيجابياً؛ ولذا نجد أمير المؤمنين(عليه السلام) يخاطب الناس بقوله: **(أيّها النّاس، إنّي والله، ما أحثُّكم على طاعةٍ إلّا وأسبقكم إليها، ولا أنهاكم عن معصيةٍ إلّا وأتناهى قبلكم عنها)**[29] .وتُعتبر هذه الحالة من أفضل الطرق وأكثرها تأثيراً، كما روي عنه(عليه السلام): **(مَن نصب نفسه للناس إماماً فليبدأ بتعليم نفسه قبل تعليم غيره، وليكن تأديبه بسيرته قبل تأديبه بلسانه، ومعلّم نفسه ومؤدّبها أحقّ بالإجلال من معلّم الناس ومؤدّبهم...)**[30].

ويمكننا أيضاً أن نستدلّ على أهمّية الأفعال الحسنة والأخلاق الحميدة ودورها في هداية الناس بما رُوي عن الإمام الصادق(عليه السلام) في قوله: **(كونوا دعاة الناس بأعمالكم، ولا تكونوا دعاةً بألسنتكم...)**[31].

الحالة الثانية: أن يحرص الخطيب والمبلّغ على بيان منهجه العملي وسلوكه العام بالإفصاح عن مشروعه، وإن لم يكن له احتكاك مباشر ومخالطة يومية للمجتمع؛ لكي لا يترك فرصةً للمتربّصين والمتصيّدين في الماء العكر لتشويه سمعته، أو ضرب مشروعه الإصلاحي، بادّعاء تناقض أفعاله مع أقواله، كما عمل النبي شعيب(عليه السلام) ـ حينما اعترض عليه قومه ـ قائلاً: **(قَالَ يَا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِن كُنتُ عَلَىَ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّي وَرَزَقَنِي مِنْهُ رِزْقًا حَسَنًا وَمَا أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَى مَا أَنْهَاكُمْ عَنْهُ إِنْ أُرِيدُ إِلاَّ الإِصْلاَحَ مَا اسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِي إِلاَّ بِاللّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ)**[32]، ما يعني أنّ القول الذي يخالفه الفعل لا يمكن أن يُرتجى من ورائه الإصلاح أو التأثير الحقيقي في المستمع، بل يكون عائقاً كبيراً بينه وبين المشروع الإلهي؛ فإذا أراد الخطيب أو الداعية أن يكون ناجحاً ومؤثراً في مجتمعه، فلا بدّ أن يراعي هذه المحدّدة مراعاةً فائقةً، ويتوكّل على الله تعالى في بقية أُموره وشؤونه.

ونكتفي ـ في هذه المرحلة ـ بهذا الطيف من النصوص التي يؤكّد بعضها على أنّ الأفعال والسلوكيات التي يمارسها الخطيب أبلغ تأثيراً في هداية المجتمعات من الأقوال التي لم يدعمها ويؤكّد صدقها فعلٌ يشاهده الجمهور، كما في قول أمير المؤمنين(عليه السلام) المتقدّم: **(... ومعلّم نفسه ومؤدّبها أحقّ بالإجلال من معلّم الناس ومؤدّبهم...)**

الحالة الثالثة: وهي أن يتناقض الخطيب والمبلّغ في موقفه أمام الجمهور؛ فلا يكون هناك توازن بين أقواله وأفعاله أو سلوكه العملي، كما يبرز ذلك واضحاً في علماء بني إسرائيل، حينما عاتبهم الله(عز وجل) بقوله**(أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ وَأَنتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ)**[33]، وقد ذكر الله(عز وجل) في آية أُخرى من كتابه أنّ هذا النمط من التلوّن والتناقض من الأُمور التي يمقتها الله(عز وجل) أيُّما مقتٍ، كما في قوله تعالى: **(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ * كَبُرَ مَقْتًا عِندَ اللَّهِ أَن تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ)**[34]، وغير ذلك من النصوص المؤكّدة لهذا المعنى.

النموذج التطبيقي من خطاب الإمام زين العابدين(عليه السلام) وأهل بيته

بما أنّ أهل البيت(عليهم السلام) كانوا ملتزمين ومتقيّدين بهذه المحدِّدات والقواعد الخطابية؛ فلذلك تجدهم قد تركوا أثراً بالغاً في نفوس السامعين من المخالفين، فضلاً عن المؤالفين لهم، فبنظرة سريعة إلى الأثر الذي تركه خطاب الإمام زين العابدين وأهل بيته(عليهم السلام) بعد واقعة الطف تتسنّى لنا البرهنة على اشتهارهم(عليهم السلام) بفعل الخير ومطابقة أقوالهم لأفعالهم؛ وهذا ما يؤكّده قول بعض الحاضرين ـ متأثّراً بما سمعه من كلام ينفذ في أعماق القلب ـ: **(كهولكم خير الكهول، ونسلكم إذا عُدَّ نسل لا يخيب ولا يخزى)**[35]، أو ما قاله ذلك الشيخ

الذي جاء شامتاً بالإمام(عليه السلام) وأهل بيته في بداية أمره، ولكنّه بعد أن احتجّ عليه الإمام(عليه السلام) وبيَّن له أنّهم أهل بيت النبي(صلى الله عليه واله) الذين عُرفوا بالورع والتقوى قال: **(اللّهمّ، إنّا نبرأ إليك من عدوِّ آل محمد**(صلى الله عليه واله) **من جنٍّ وإنس .ثمّ قال: هل لي توبة؟ فقال له(عليه السلام): نعم، إن تبت تاب الله عليك وأنت معنا .فقال: أنا تائب .فبلغ يزيد بن معاوية حديث الشيخ، فأمر به فقُتل)**[36]، وما ذلك التأثّر إلّا لأنّهم(عليهم السلام) قد عُرف عنهم الاستقامة في أفعالهم وأقوالهم؛ ما جعل الخطاب الذي يصدر عنهم مؤثّراً في نفوس سامعيه.

٣ـ المحدِّدات المعنوية والروحية

مع أنّ الإخلاص في النيّة والتوكّل على الله(عز وجل) ـ وغيرهما من الصفات الواجب توفّرها في شخصية الخطيب ـ من الأُمور التي يصعب الحكم بوجودها أو نفيها في شخصية المتكلّم، إلّا أنّ هناك آثاراً ونتائج تكشف لنا مدى البُعد الروحي الذي يحمله هذا الخطيب أو ذاك، ومن أبرز هذه الآثار هو تأثّر الآخرين بكلامه، والعمل على وفق توصياته وإرشاداته، هذا ما يلمسه كثيرٌ من السامعين.

لكنّ هذا الأمر لا يمكن أن نجعله ميزاناً ومقياساً لمعرفة نوايا الخطيب وماورائياته من التصدّي لهذه المهمّة، فقد يكون الخطيب مخلصاً وصادقاً في نيّته حينما يتحدّث إلى جمهوره، ويخاطبهم بكلماتٍ تخرج من أعماقه، لكنّ الموانع والعوائق الأُخرى في الجمهور المقابل له هي التي تحول بينهم وبين هدايتهم بأقواله، أو الأخذ بها والعمل على وفقها، وهذا ما يؤكّده قوله تعالى على لسان النبيّ شعيب(عليه السلام) حينما قال: (وَمَا تَوْفِيقِي إِلاَّ بِاللهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ)[37]، فمع أنّ النبيّ(عليه السلام) كان مخلصاً وصادقاً في مبادرته الإصلاحية التي خاضها في مجتمعه، إلّا أنّ القرآن يحكي لنا النهايات المؤسفة لمصير قومه[38] .

وهذه الخصال آنفة الذكر ـ أي: التوكّل على الله، وغيرها من الصفات المعنوية ـ من السمات العامّة التي سُجّلت للذين يتصدّون لتبليغ أمر الله ورسالاته؛ لما لها من محورية ودور حسّاس في ديمومة هذا الخط والنهج الإلهي؛ ولذا يقول تعالى: (الَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَالَاتِ اللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا اللَّهَ وَكَفَى بِاللَّهِ حَسِيبًا)[39]، وقد تجلّى هذا التوكّل في مواقف الأنبياء والرسل الذين تحمّلوا من المصاعب والمخاطر ما يفوق الوصف والبيان، كما في موقف نوح وإبراهيم وموسى وعيسى(عليهم السلام)، فضلاً عن موقف النبي الخاتم(صلى الله عليه واله)، ومع كلّ هذا الوضوح، ولأهمّية بعض المسائل الحسّاسة التي لا يُتهاون بها، نجد أنّ الله(عز وجل) يخاطب النبيّ(صلى الله عليه واله) قائلاً: (يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ

النَّاسِ إِنَّ اللّهَ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ)[40].وهذا الخطاب وإن كان موجّهاً إلى النبي(صلى الله عليه واله)، إلّا أنّ ما يُستفاد منه هو عمومية التنبيه إلى عدم المداهنة والمجاملة في قول الحقّ، مهما كانت نتائجه على الداعية، مع الالتفات إلى الضمانات الإلهية التي أشارت إليها الآية الكريمة، وهي: التسديد الربّاني لكلّ مَن أخذ على كاهله تبليغ الرسالات الربّانية.

عيّنة هذه النقطة في خطاب الإمام زين العابدين(عليه السلام) وأهل بيته

لقد أكمل الخطيب الحسيني المتمثّل بالإمام زين العابدين(عليه السلام) هذه المسيرة، وتصدّى لتبليغ الرسالة الإلهية، غير مكترثٍ لجيوش الظالمين ولا لقوّتهم، فوجَّه كلامه للخطيب الذي أمره يزيد بن معاوية، أن يرتقي المنبر لينال من أهل البيت(عليهم السلام) قائلاً: **(ويلك أيّها الخاطب !اشتريت مرضاة المخلوقين بسخط الخالق، فتبوّأ مقعدك من النار**[41]**(...**، ثمّ يلتفت إلى يزيد بن معاوية ويقول له: **(يا يزيد، أتأذن لي أن أصعد هذه الأعواد فأتكلّم بكلامٍ فيه رضا الله ورضا هؤلاء الجلساء، وأجرٌ وثواب؟)**[42] .فلم يكن هدفه من خُطبه التي أصرَّ على إلقائها في محافل متعدّدة سوى رضا الله(عز وجل)، ونفع الجمهور المستمع إلى حديثه.

وكذا الحال في خطب أخوات الحسين(عليه السلام) وبناته، ويكفينا في ذلك أيضاً قول السيّدة زينب(عليها السلام) حينما افتتحت خطابها قائلةً: **(صدق الله سبحانه كذلك يقول:** (ثُمَّ كَانَ عَاقِبَةَ الَّذِينَ أَسَاؤُوا السُّوأَى أَن كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَكَانُوا بِهَا يَسْتَهْزِؤُون)**)**[43]، مطّبقةً ذلك على يزيد بن معاوية أمام الملأ؛ ليبرّر لها بعد إثبات المطلوب توبيخه ولومه على الجرائم التي ارتكبها.

وكلّ ذلك ينمّ عن الشعور بالمسؤولية الإنسانية والدينية، والتكليف المتوجّه من قِبل الله(عز وجل) إليهم؛ بعد أن **(أخذ الله على العلماء أن لا يقاروا على كظّة ظالم، ولا سغب مظلوم)**[44].

والنتيجة التي نأخذها من هذه النقطة هي ضرورة تحلّي الخطيب الحسيني ـ الذي يريد أن يتّخذ الأنبياء والرسل والأئمّة مثالاً وقدوةً صالحةً في هذا المجال ـ بالتوكّل على الله في اختيار خطبه التي يُعدّها مسبقاً للتحدّث مع جمهوره، والاعتقاد بالتسديد الإلهي؛ ليقدّم للمستمعين خطاباً هادفاً، ركائزه: قول الحقّ ولو كان على خلاف ميوله النفسية، ونفع الناس وصلاحهم، غير مهتمّ بما في أيديهم، ولا مبالٍ بالمؤثّرات الأُخرى التي يهتمّ بها مَن لا يؤمن بالأُمور الغيبية.

ثانياً: المحدِّدات المتعلّقة بالخطاب

بعد أن تعرَّفنا على المحدِّدات والمؤهّلات الدخيلة في صناعة الذات عند الخطيب الحسيني في ضوء النصوص الشرعية، يأتي الدور للحديث عن المحدِّدات والضوابط العامّة المتعلّقة بالخطاب الذي يتمّ إعداده من قِبل الخطيب ـ المتوفّر على الضوابط المتقدّمة آنفاً ـ ليكون المتمّم الآخر لضمان وصول الرسالة وتحقيق الهدف الذي من أجله وُجد المنبر، وهو تقويم اعوجاج المجتمع، ومعالجة مواطن الخلل التي وضع يده عليها، وتتمثّل هذه المحدِّدات بالأمور التالية:

١ـ الإعداد المسبق

مع أنّه لا تسعفنا المصادر المتوفّرة بين أيدينا بنصوصٍ شرعية خاصّة تتحدّث عن جانب الإعداد المسبق لما يراد قوله في الخطبة أو المحاضرة، ولكن نستطيع أن نستدلّ على أهمّية هذا الجانب بالنصوص العامّة التي تحثّنا على تدوين وكتابة العلوم التي يتلقّاها الخطيب ويتعلّمها في مسيرته العلمية، كالرواية الواردة عن أمير المؤمنين(عليه السلام) في قوله: **(قيّدوا العلم بالكتابة)**[45]، وكذا الأحاديث التي تضمّنت تأكيد المعصومين(عليهم السلام) على لزوم الاستفادة من هذه الآلية الضامنة لحفظ العلوم من الضياع أو النسيان، كالحديث الوارد عن الإمام الصادق(عليه السلام) لأصحابه: **(احتفظوا بكتبكم؛ فإنّكم سوف تحتاجون إليها)**[46]، وغيرها من النصوص الكثيرة المؤكّدة لهذه الحقيقة، ما يعني أنّ تقييد العلم بالكتابة والاحتفاظ بالكتب آليةٌ مهمّة جدّاً في وصول المعرفة السليمة من التلاعب والتزوير، أو النسيان والضياع، وغير ذلك من أسباب تغيُّر الحقائق وتبدّلها، هذا فضلاً عن الأدلّة المتقدّمة حول المحدِّدات العلمية، كما في قوله تعالى: (عَلَى بَصِيرَةٍ) ؛ إذ ينبغي للخطيب والداعية أن يكون على علم مسبق ودراية تامّة بما يريد قوله لجمهوره؛ لكي يصحّ لنا أن نصفه بصفة) البصيرة(، وأمّا إذا كان خطابه ارتجالياً وغير مخطّطٍ له مسبقاً، فلا يمكن أن يتوافر على هذا الشرط المهمّ في الداعية.

وإذا توصّلنا إلى هذه النتيجة ـ وهي: عدم صحّة اتصاف الخطيب بالبصيرة ما لم يكن على علمٍ بما يريد قوله وما لم يتهيّأ مسبقاً لإعداد خطابه ـ فليس من العقل أن يتصدّى خطيب لهذه المهمّة مع إغفاله لهذه الخطوة المحورية في مسيرته الرسالية؛ إذ إنّ ذلك ينبئ عن فشل ذريع ينتظره في نهاية المطاف.

٢ـ مراعاة المتلقّي (والتناسب الطردي بين المشكلة وعلاجها)

هناك مجموعة من النصوص التي لها أكثر من وجهةٍ يمكن الاستفادة منها في نقاط مختلفة، والتي تفيدنا في هذه النقطة المهمّة والمحورية، ومن ذلك الوصف الوارد عن أمير المؤمنين في حقّ النبيّ(صلى الله عليه واله): **(طبيبٌ دوّار بطبّه، قد أحكم مراهمه، وأحمى مواسمه؛ يضع ذلك حيث الحاجة إليه، من قلوبٍ عمي، وآذانٍ صمّ، وألسنةٍ بُكم، متّبعٌ بدوائه مواضع الغفلة ومواطن الحيرة**[47]**(...،** فقوله(عليه السلام): **(يضع ذلك حيث الحاجة إليه)**، يدلّنا على أنّ النبيّ(صلى الله عليه واله) كان يراعي في أدائه لهذه المهمّة التناسب بين المشكلة وعلاجها، كمّيةً ونوعاً، وهذا ما يتلاءم مع الأحاديث التي توصي بلزوم التحدّث إلى الناس على قدر استيعابهم، وتقبّلهم للحقائق التي يراد طرحها في الخطاب[48]، وهو متطابقٌ تماماً مع ما ورد عن النبيّ(صلى الله عليه واله) في قوله: **(إنّا معاشر الأنبياء أُمرنا أن نُكلِّم النّاس على قدر عقولِهم)**[49]، فلا يناسب الخطيب أو الداعية أن يتكلّم مع جمهوره بلغة علمية وأُسلوب لا يفهمه إلّا المتخصّص في فنون العلم والمعرفة، والحال أنّ أغلب الحاضرين في مجلسه وجمهوره من طبقاتٍ مختلفة، ومنهم البسطاء الذين ليس لهم اهتمام كبير بالتخصّصات الدقيقة، فهذا السلوك مخالف لما ورد عن أمير المؤمنين(عليه السلام) في قوله: **(أحسن الكلام ما زانه حُسن النظام، وفَهِمه الخاصّ والعام)**[50]، بل يُعتبر نقضاً للهدف الذي من أجله ضحّى الخطيب بجهده ووقته.

كما أنّ من العلوم والمعارف ما لا يتحمّل معرفتها كلّ أحدٍ من السامعين، فيجب على الخطيب مراعاة المتلقّين في هذه المسألة أيضاً، وقد نقلنا في موضع سابق الوصية الواردة عن أمير المؤمنين(عليه السلام): **(... لا تقل كلّ ما تعلم، فإنّ الله فرض على جوارحك فرائضَ يُحتجّ بها عليك يوم القيامة)**[51]، أو قوله(عليه السلام): **(لا تقل ما لا تعلم فتُتّهم في إخبارك بما تعلم)**[52]، فإنّ من المداليل الواضحة لهذه الروايات هو التأكيد على أنّه يتحتّم على الخطيب أن يراعي في طرحه بعض المواضيع الحسّاسة التي قد يؤثّر سماعها سلباً في جمهوره الذي حضر تحت منبره، كما أنّ القرآن الكريم قد أشار إلى أنّ على المستمع تجنّب بعض الأسئلة التي قد تعود عليه بالضرر، كما في قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تَسْأَلُواْ عَنْ أَشْيَاء إِن تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ﴾[53] .

ويؤكّد هذه الفكرة ما رُوي عن أمير المؤمنين(عليه السلام) في وصيّته لولده محمد بن الحنفية قائلاً: **(... وما خلق الله**(عز وجل) **شيئاً أحسن من الكلام ولا أقبح منه، بالكلام ابيضّت الوجوه، وبالكلام اسودّت الوجوه، واعلم أنّ الكلام في وثاقك ما لم تتكلّم به، فإذا تكلّمت به صرت في وثاقه، فاخزن لسانك كما تخزن ذهبك وورقك)**[54].

ولذا؛ أفصح الإمام السجاد(عليه السلام) عن أهدافه الكامنة من وراء خطبته في الشام، حيث قال: **(فأتكلّم بكلام فيه رضا الله، ورضا هؤلاء الجلساء، وأجرٌ وثوابٌ)**[55]، ما يعني: أنّ الكلام الذي يريد الحديث عنه قد راعى فيه الإمام(عليه السلام) النفع الذي يعود على الحاضرين.

٣ـ تجنّب ما يُنفّر الجمهور

هناك مجموعة من المحفّزات التي يتحتّم على المتحدّث مراعاتها في خطابه لكي يجذب أكبر شريحة ممكنة؛ وهذا ما نجد جذوره وأُسسه في النصوص الدينية، فقد ورد عن النبي(صلى الله عليه واله) أنّه قال على لسان الخضر مخاطباً النبيّ موسى(عليهما السلام): **(...إنّ القائل أقلّ ملالةً من المستمع، فلا تملّ جلساءك إذا حدّثتهم)**[56]، وورد عن أمير المؤمنين(عليه السلام): **(آفة الكلام الإطالة)**[57]؛ والسبب في ذلك أنّ المستمع إذا أصابه الملل من الخطاب فعندئذٍ يأخذ تلقائياً إلى عدم التوجّه والانتباه إلى الرسالة التي يريد الخطيب إيصالها، وبطبيعة الحال فإنّ الحديث إذا طال أنسى آخرُه أوّلَه[58].

ومن جهةٍ أُخرى، فإنّ الطريقة المتّبعة من قِبل النبيّ(صلى الله عليه واله) في خطاباته أنّه لا يخاطب الحاضرين بكلام مباشر فيما لو كان الكلام يمسّ كرامتهم، بل كما يُعبّر بعض الباحثين أنّه كان يستعمل أُسلوب التلميح والتلويح، ويبتعد عن التصريح؛ لكي لا يُفتضح أحد وتُهتك حرمته[59]، كما روي عنه(صلى الله عليه واله) أنّه: **(إذا بلغه عن الرجل الشيء لم يقل: ما بال فلان يقول؟ ولكن يقول: ما بال أقوام يقولون: كذا وكذا؟)**[60]، ونجد تعليل ذلك السلوك في بعض الروايات الأُخرى التي تقول: **(... حتّى لا يفضح أحداً)**[61] .

خطاب الإمام السجّاد(عليه السلام) وأهل بيته في الكوفة والشام

من الأُمور التي يجدها الباحث في مجريات خطب الإمام زين العابدين(عليه السلام) وأهل بيته ـ الذين تصدّوا في مسيرة السبي إلى إلقاء الخطابات الهادفة ـ هو أنّ هذه الخطب قد توفّرت على تنوّع الأُسلوب، واختلاف الأدوات الاستدلالية، ومراعاة الاختصار بما يناسب المقام، وتوجيه الخطاب المباشر فيما لو اقتضت الحاجة إليه، وغيرها من الأساليب المعتمدة من قِبَل الإمام زين العابدين وأهل بيت الحسين(عليهم السلام) في خطابهم حينما كانوا في الكوفة والشام[62].

النموذج الآخر للخطابة الحسينية

إنّ قراءة متأنية في بعض الخطابات التي صدرت في عصر النهضة الحسينية، بدايةً بالخطب التي جاءت على لسان سيّد الشهداء(عليه السلام) في نهضته المباركة، ومروراً بالخطابات التي سجّلها التاريخ على لسان أهل بيت الحسين(عليه السلام) وأصحابه في يوم عاشوراء، تجعلنا جازمين بأنّ تلك الخطب ـ التي لا شكّ في أنّها من أوضح نماذج الخطابة الحسينية المثمرة، والخطاب المؤثّر في المستمع السوي والمعتدل، وإن لم يكن لها تمام التأثير في المستمع المباشر وقتئذٍ ـ قد تركت أثراً كبيراً في نفوس المتلّقين في الأزمنة اللاحقة إلى يومنا هذا، وسيبقى تأثيرها ساري المفعول في الأجيال التي تأتي بعد هذا العصر.

وسنكتفي بذكر بعض الشواهد من تلك الخطب التي توفّرت على المحدِّدات الشرعية للخطيب الناجح، ولكن من دون التعليق عليها؛ لكي لا يطول البحث:

1ـ خُطبه(عليه السلام) في مكّة، كقوله(عليه السلام): **(خُطّ الموت على وُلد آدم مخطّ القلادة على جيد الفتاة...)**[63].

2ـ خُطبه(عليه السلام) في طريقه إلى كربلاء، كخطبته حينما صلّى بأصحابه وأصحاب الحرّ الرياحي، فقال(عليه السلام): **(أيّها الناس، فإنّكم إن تتّقوا الله وتعرفوا الحقّ لأهله يكن أرضى لله عنكم، ونحن أهل بيت محمد، وأوْلى بولاية هذا الأمر عليكم من هؤلاء المدّعين ما ليس لهم...)**[64].

3ـ خُطبه(عليه السلام) في يوم عاشوراء، وهي كثيرةٌ جدّاً، كما في قوله(عليه السلام): **(أيّها الناس، اسمعوا قولي ولا تعجلوني حتّى أعظكم بما يحقّ لكم، وحتّى أعتذر لكم من مقدمي عليكم، فإن قبلتم عذري، وصدّقتم قولي، وأعطيتموني النصف، كنتم بذلك أسعد، ولم يكن لكم عليّ سبيل...)**[65].

4ـ خُطب أصحابه(عليه السلام) يوم عاشوراء، كخطبة زهير بن القين[66]، والحرّ بن يزيد الرياحي[67]، وغيرهما ممَّن دوّنت المصادر التاريخية خطبهم الوعظية التي اشتملت على عُنصرَي الإقناع والاستمالة، حتّى أن بعضاً ممَّن كان حاضراً في جبهة العدو قد تأثّر بخطبهم[68].

هذه هي أهم المحدِّدات التي أكّدتها النصوص الدينية؛ لكي تخلق لنا الخطيب المتميّز والداعية الناجح في أداء رسالته، وسوف نتناول أهم المحدِّدات التي وردت في المصادر البشرية والمنطقية في مقالٍ لاحقٍ إن شاء الله، والحمد لله أوّلاً وآخراً.

المصادر والمراجع

●□□□ القرآن الكريم.

١. الأمالي، محمد بن الحسن الطوسي (ت٤٦٠هـ)، منشورات دار الثقافة، قم، الطبعة الأولى، ١٤١٤هـ.

٢. الأمالي، محمد بن علي الصدوق (ت٣٨١هـ)، منشورات مؤسّسة البعثة، إيران ـ طهران، الطبعة الأُولى، ١٤١٧هـ.

٣. بحار الأنوار، محمد باقر المجلسي (ت١١١١هـ)، منشورات مؤسّسة الوفاء، بيروت، الطبعة الثانية، ١٩٨٣م.

٤. البيان وفنّ الخطابة، محمد تقي فلسفي (ت١٣٢٩هـ)، منشورات مؤسّسة البعثة، بيروت، الطبعة الثانية، ٢٠٠٦م.

٥. تاريخ الأُمم والملوك، محمد بن جرير الطبري (ت٣١٠هـ)، منشورات مؤسّسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، الطبعة الرابعة، ١٩٨٣م.

٦. التبليغ في الكتاب والسنّة، محمد الريشهري، منشورات دار الحديث، الطبعة الأُولى، ١٣٧٩هـ.ش.

٧. التبيان في تفسير القرآن، محمد بن الحسن الطوسي (ت٤٦٠هـ)، منشورات مكتب الإعلام الإسلامي، الطبعة الأُولى، ١٢٠٩هـ.

٨. تجاربي مع المنبر، أحمد الوائلي (ت١٤٢٤هـ)، منشورات دار الزهراء للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، الطبعة الأُولى، ١٩٩٨م.

٩. تفسير القمّي، علي بن إبراهيم القمّي (ت٣٠٧هـ)، منشورات مؤسّسة دار الكتاب للطباعة والنشر، قم، الطبعة الثالثة، ١٤٠٤هـ.

١٠. تفسير جوامع الجامع، الفضل بن الحسن الطبرسي (ت٥٤٨هـ)، منشورات مؤسّسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرّسين، قم، الطبعة الأُولى، ١٤١٨هـ.

١١. الثاقب في المناقب، ابن حمزة الطوسي، منشورات مؤسّسة أنصاريان، قم، الطبعة الأُولى، ١٤١١هـ.

١٢. الخطابة وإعداد الخطيب، عبد الجليل شلبي، منشورات دار الشروق، الطبعة الأُولى، ١٩٨١م.

١٣. الخطابة، أرسطو طاليس، منشورات دار القلم، بيروت، ١٩٧٩م.

١٤. زبدة التفاسير، فتح الله الكاشاني (ت٩٨٨هـ)، منشورات مؤسّسة المعارف الإسلامية، قم، الطبعة الأُولى، ١٤٢٣هـ.

١٥. سنن أبي داوود، سليمان بن الأشعث السجستاني (ت٢٧٥هـ)، منشورات دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة الأُولى، ١٩٩٠م.

١٦. عيون الحكم والمواعظ، علي بن محمد الواسطي الليثي (ت ق٦هـ)، منشورات دار الحديث، الطبعة الأُولى.

١٧. الفتوح، أحمد بن أعثم الكوفي (ت٣١٤هـ)، منشورات دار الأضواء للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، الطبعة الأُولى، ١٩٩١م.

١٨. فنّ الخطابة ومهارات الخطيب، إسماعيل علي محمد، منشورات دار الكلمة للنشر والتوزيع، الطبعة الخامسة، ٢٠١٦م.

١٩. فنّ الخطابة، أحمد محمد الحوفي، دار النهضة للطبع والنشر، القاهرة، الطبعة الرابعة.

٢٠. فنّ الخطابة، دايل كارنيجي، المطبعة الأهلية، بيروت، الطبعة العربية الأُولى، ٢٠٠١م، الوسام للخدمات المطبعية، عمّان.

٢١. قرب الإسناد، عبد الله بن جعفر الحميري (ت٣٠٤هـ)، منشورات مؤسّسة آل البيت(عليهم السلام) لإحياء التراث، قم، الطبعة الأُولى، ١٤١٣هـ.

٢٢. الكافي، محمد بن يعقوب الكليني (ت٣٢٩هـ)، منشورات دار الكتب الإسلامية، طهران، الطبعة الخامسة.

٢٣. كنز العرفان في فقه القرآن، الفاضل المقداد بن عبد الله السيوري (ت٨٢٦هـ)، منشورات المكتبة المرتضوية، طهران، ١٣٨٤هـ.

٢٤. الكنى والألقاب، عباس القمّي (ت١٣٥٩هـ)، تقديم محمد هادي الأميني، مكتبة الصدر، طهران.

٢٥. اللهوف في قتلى الطفوف، علي بن موسى بن طاووس (ت٦٦٤هـ)، منشورات أنوار الهدى، قم، الطبعة الأُولى، ١٤١٧هـ.

٢٦. اللؤلؤ والمرجان في آداب أهل المنبر، الميرزا حسين النوري الطبرسي (ت١٣٢٠هـ)، منشورات دار البلاغة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، الطبعة الأُولى، ٢٠٠٣م.

٢٧. مثير الأحزان، جعفر بن محمد ابن نما (ت٦٤٥هـ)، منشورات المطبعة الحيدرية في النجف، ١٩٥٠م.

٢٨. مجمع البيان في تفسير القرآن، الفضل بن الحسن الطبرسي (ت٥٤٨هـ)، منشورات مؤسّسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، الطبعة الأُولى، ١٩٩٥م.

٢٩. مجمع الزوائد، علي بن أبي بكر الهيثمي (ت٨٠٧هـ)، منشورات دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٨م.

٣٠. المرشد إلى الخطابة، كريس ستيوارد ومايك ولكنسون، منشورات دار الفارس للنشر والتوزيع، عمان، الطبعة الأُولى، ١٩٩٠م.

٣١. المستطرف في كلّ فنّ مستظرف، محمد بن أحمد الأبشيهي (ت٨٥٠هـ)، منشورات دار ومكتبة الهلال، بيروت، الطبعة الأُولى، ٢٠٠٠م.

٣٢. معارج نهج البلاغة، على بن زيد البيهقي (ت٥٦٥هـ)، منشورات مكتبة آية الله العظمى المرعشي النجفي، قم، الطبعة الأُولى، ١٤٠٩هـ.

٣٣. معجم مقاييس اللغة، أحمد بن فارس بن زكريا (ت٣٩٥هـ) ، منشورات مكتب الإعلام الإسلامي، ١٤٠٤هـ.

٣٤. مَن لا يحضره الفقيه، محمد بن علي الصدوق (ت٣٨١هـ)، منشورات مؤسّسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرّسين، قم، الطبعة الثانية، ١٤٤٠هـ.

٣٥. نهج البلاغة، الشريف أبو الحسن محمد الرضي بن الحسن الموسوي، تحقيق وشرح :الشيخ محمد عبده، دار الذخائر، إيران ـ قم، الطبعة الأُولى، ١٤١٢هـ.ق/١٣٧٠هـ.ش.

[1] عُرِّفت الخطابة بتعاريف كثيرة متقاربة في المعنى مع اختلافات يسيرة، ومن بين تلك التعاريف هو أنّ الخطابة: «فنّ مخاطبة الجماهير بطريقة إلقائية، تشتمل على الإقناع والاستمالة» .شلبي، عبد الجليل، الخطابة وإعداد الخطيب: ص١٣.

ومع أنّه من الأُمور المفروغ منها في أُصول البحث عن أيّ مفردة أو موضوع أن يتمّ تناول المبادئ التصوّرية له، إلّا أنّ هناك ما قد يبرّر لنا التغاضي عن ذلك، والاكتفاء بذكر تعريف مختصر في حاشية البحث فقط؛ وذلك لأنّني وجدت كثيراً من الباحثين في هذا العدد والأعداد اللاحقة قد أعطوا هذا الجانب من البحث استحقاقه الكافي؛ فلم أرغب في تكرار هذه النقطة في موضوعة بحثنا.

[2] أُنظر: إسماعيل علي محمد، فنّ الخطابة ومهارات الخطيب :ص .35

[3] الحوفي، أحمد، فنّ الخطابة: ص٤٢. وأُنظر :كارنيجي، ديل، فنّ الخطابة: ص٧.

[4] يُراد من مفردة المحدِّدات التي اعتُمدت في عنوان بحثنا على ما ذكره ابن فارس في (معجم مقاييس اللغة: ج٢، ص٤) :ما كان طرفاً للشيء، والذي يكون فاصلاً بينه وبين غيره .وتطبيق ذلك في بحثنا أنّ هذه المحدِّدات هي التي تكون حدّاً فاصلاً بين الفعل المناسب وغير المناسب من تصرّفات الخطيب.

[5] أُنظر على سبيل المثال: كارنيجي، ديل، فنّ الخطابة. وأيضاً: كريس ستيوارد، ومايك ولكنسون، المرشد إلى الخطابة.

[6] أُنظر على سبيل المثال: أرسطوطاليس، الخطابة. النوري الطبرسي، حسين، اللؤلؤ والمرجان في آداب أهل المنبر.

[7] سواء النصوص التي أكّدت ضرورة مراعاة بعض الجوانب المهمّة في الخطيب أو الخطاب، والتي سوف يأتي ذكرها في ثنايا البحث، أو النصوص الناهية عن بعض السلوكيات السلبية في شخصية الخطيب أو الخطاب، كما في الحادثة التي حصلت مع الإمام زين العابدين(عليه السلام) في قصر يزيد، حينما التفت إلى الخطيب قائلاً: «ويلك أيّها الخاطب، اشتريت مرضاة المخلوقين بسخط

الخالق، فتبوّأ مقعدك من النار...» .ابن طاووس، علي بن موسى، اللهوف في قتلى الطفوف :ص .109 وغيرها من النصوص القرآنية أو الروائية التي سيتمّ استعراضها لاحقاً إن شاء الله تعالى.

[8] وهذا النمط من المحدِّدات يمكن أن نستفيده من الخطب المأثورة عن النبي(صلى الله عليه واله) والأئمّة المعصومين(عليهم السلام)، خصوصاً وأنّ بعضاً منهم(عليهم السلام) قد استفادوا من الخطابة في هداية الأُمّة؛ كما تجد ذلك عن أمير المؤمنين(عليه السلام)، وكذلك الإمام الحسن وأخيه الحسين(عليهما السلام).

[9] وتتجلّى نماذج هذا النوع من المحدِّدات بوضوحٍ في الفترة التي أعقبت استشهاد الإمام الحسين(عليه السلام) وأهل بيته وأصحابه في واقعة الطف، لتمتدّ إلى السلوك المعاصر لسائر الأئمّة المعصومين(عليهم السلام).

[10] أُنظر: كارنيجي، ديل، فنّ الخطابة: ص٤١.

[11] الوائلي، أحمد، تجاربي مع المنبر: ص١٤.

[12] أُنظر: المصدر السابق: ص١١٠، وص١٤٢.

[13] يوسف: آية.108

[14] أُنظر: فلسفي، محمد تقي، البيان وفنّ الخطابة: ص٤٢.

[15] الطوسي، محمد بن الحسن، التبيان في تفسير القرآن: ج٦، ص٢٠٥. وأُنظر: الطبرسي، الفضل بن الحسن، تفسير جوامع الجامع: ج٢، ص٢٤٤. الكاشاني، فتح الله، زبدة التفاسير: ج٣، ص٤١٩.

[16] النحل: آية.125

[17] الطبرسي، الفضل بن الحسن، تفسير جوامع الجامع: ج٢، ص٣٥٤.

[18] أُنظر: الطبرسي، الفضل بن الحسن، تفسير مجمع البيان: ج٧، ص٤٦٥. السيوري، المقداد، كنز العرفان في فقه القرآن: ج١، ص١٢٩.

[19] نهج البلاغة: ج١، ص٢٠٧، الخطبة ١٠٨.

[20] المصدر السابق: ج٤، ص٩١، الحكمة٣٨٢.

[21] أُنظر: الوائلي، أحمد، تجاربي مع المنبر: ص٢٢.

[22] أُنظر: الأنعام :آية .144وأيضاً: لقمان: آية٦.

[23] الواسطي الليثي، علي بن محمد، عيون الحكم والمواعظ: ص٥٥٣.

[24] ابن نما، جعفر بن محمد، مثير الأحزان: ص٦٩.

[25] أُنظر: الطبرسي، أحمد بن علي، الاحتجاج: ج٢، ص٣٣.

[26] أُنظر: المصدر السابق: ص٣٤ـ ٣٨.

[27] المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار: ج٤٥، ص١٣٨.

[28] أُنظر: الصدوق، محمد بن علي، الأمالي :ص.245

[29] نهج البلاغة: ج٢، ص٩٠، الخطبة١٧٥.

[30] المصدر السابق: ج٤، ص١٦، الحكمة٧٣.

[31] الحميري، عبد الله بن جعفر، قرب الإسناد: ص٧٧.

[32] هود: آية.88

[33] البقرة: آية.44

[34] الصف: آية2ـ3.

[35] الطوسي، محمد بن الحسن، الأمالي :ص .93وقد وردت الرواية في مثير الأحزان بالتعبير التالي...» :بأبي أنتم وأُمّي، كهولكم خير الكهول، وشبابكم خير الشباب، ونساؤكم خير النساء، ونسلكم خير النسل، لا يخزى ولا يبزى». ابن نما، جعفر بن محمد، مثير الأحزان: ص٦٧.

[36] أُنظر: ابن طاووس، علي بن موسى، اللهوف في قتلى الطفوف: ص١٠٣.

[37] هود: آية.88

[38] أُنظر: القمّي، علي بن إبراهيم، تفسير القمّي: ج١، ص٣٣٧.

[39] الأحزاب: آية.39

[40] المائدة: آية.67

[41] الكوفي، أحمد بن أعثم، الفتوح: ج٥، ص١٣٢. ابن طاووس، علي بن موسى، اللهوف في قتلى الطفوف: ص١٠٩.

[42] الكوفي، أحمد بن أعثم، الفتوح: ج٥، ص١٣٢.

[43] الطبرسي، أحمد بن علي، الاحتجاج: ج٢، ص٣٥.

[44] نهج البلاغة: ج١، ص٣٦، الخطبة٣.

[45] الطوسي، ابن حمزة، الثاقب في المناقب: ص٢٧٨.

[46] الكليني، محمد بن يعقوب، الكافي: ج١، ص٥٢.

[47] نهج البلاغة: ج١، ص٢٠٧، الخطبة ١٠٨.

[48] أُنظر: البيهقي، علي بن زيد، معارج نهج البلاغة: ص٢٠٢.

[49] الكليني، محمد بن يعقوب، الكافي: ج١، ص٢٣.

[50] الواسطي الليثي، علي بن محمد، عيون الحكم والمواعظ: ص١٢٤.

[51] نهج البلاغة: ج٤، ص٩١، الحكمة٣٨٢.

[52] الواسطي الليثي، علي بن محمد، عيون الحكم والمواعظ: ص٥٣٠.

[53] المائدة: آية.101

[54] نهج البلاغة: ج٤، ص ٩١، حكمة ٣٨١. وأُنظر: الصدوق، محمد بن علي، مَن لا يحضره الفقيه: ج٤، ص٣٨٨.

[55] الكوفي، أحمد بن أعثم، الفتوح: ج٥، ص١٣٢.

[56] الهيثمي، علي بن أبي بكر، مجمع الزوائد: ج١، ص١٣٠.

[57] الواسطي الليثي، علي بن محمد، عيون الحكم والمواعظ: ص١٨١.

[58] أُنظر: http://www.saaid.net/afkar/school/93.htm. وهو مضمون رواية طالعتها في بدايات مسيرتي الدراسية، إلّا أنّني لم أعثر على مصدرها في هذه العجالة.

[59] أُنظر: الريشهري، محمد، التبليغ في الكتاب والسنّة: ص١٦٢.

[60] السجستاني، سليمان بن الأشعث، سنن أبي داوود: ج٢، ص٤٣٤.

[61] الأبشيهي، محمد بن أحمد، المستطرف في كل فنّ مُستظرف: ج١، ص٢٠٥.

[62] أُنظر: الطبرسي، أحمد بن علي، الاحتجاج: ج٢، ص٢٩ـ ٣٨.

[63] ابن نما، جعفر بن محمد، مثير الأحزان: ص٢٩.

[64] المفيد، محمد بن محمد، الإرشاد: ج٢، ص٧٩.

[65] المصدر السابق: ص٩٧.

[66] كما في قوله: «يا أهل الكوفة، نذارِ لكم من عذاب الله نذارِ، إنّ حقّاً على المسلم نصيحة أخيه المسلم، ونحن حتّى الآن إخوة، وعلى دين واحد، وملّة واحدة، ما لم يقع بيننا وبينكم السيف، فأنتم للنصيحة أهل...». الطبري، محمد بن جرير، تاريخ الأُمم والملوك :ج4، ص.324

[67] كما في قوله: «يا أهل الكوفة، لأُمّكم الهبل والعبر، أدعوتم هذا العبد الصالح حتّى إذا أتاكم أسلمتموه، وزعمتم أنّكم قاتلو أنفسكم دونه، ثمّ عدوتم عليه لتقتلوه، أمسكتم بنفسه، وأخذتم بكظمه؟!». المفيد، محمد بن محمد، الإرشاد: ج٢، ص١٠٠.

[68] أُنظر: القمّي، عباس، الكنى والألقاب: ج١، ص٤٥.

مؤسسة وارث الأنبياء للدراسات التخصصية في النهضة الحسينية © ٢٠٢٤